آثار الشراكات الإستراتيجية لأذربيجان في الأمن القومي الإيراني

تسعديت كلاليش

باحثة دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة مولود معمري

مقدِّمة

تقع إيران في بيئة إقليمية مضطربة، تُحيط بحدودها البرِّية سبع دول، وبحدودها البحرية ثماني دول. هذا الجوار المتعدِّد والمتنوِّع يمنح إيران مكانة جيو-سياسية متفرِّدة، ويقدِّم إليها فُرَصًا كبيرة، لكن من ناحية أخرى، لا يخلو من مخاطر، فإيران من أكثر الدول في المنطقة التي دخلت في مواجهات مباشرة وغير مباشرة، ولديها تهديدات تمَسُّ أمنها القومي.. من بين هذه التهديدات تلك التي تأتيها من دولة أذربيجان، التي تُعتبَر إحدى دول منطقة القوقاز، ويغذِّي هذا التهديد عاملٌ تاريخي، إذ كانت أجزاء كبيرة منها حتى القرن التاسع عشر تابعة للأراضي الإيرانية، وآخر جيو-سياسي، إذ كانت أذربيجان حتى التسعينيات تحت سيطرة الاتحاد السوفييتي، ولاحقًا أقامت شراكات إستراتيجيةً مع الدول الكُبرى والإقليمية المعادية لإيران.

بحسب إيران، من شأن الشراكات الإستراتيجية لأذربيجان مع القوى الكُبرى، كروسيا والولايات المتحدة، وكذلك مع القوى الإقليمية، كتركيا وإسرائيل، أن تُحدِث تغييرًا في ميزان القوى في جنوب القوقاز، ما يهدِّد مصالحها الوطنية وأمنها القومي، وهو الأمر الذي يثير التساؤلات حول كيفية ومدى هذا التأثير في الأمن القومي الإيراني، ومصالح إيران الوطنية، من خلال محاولة تغيير الواقع الجيو-إستراتيجي، ما يجعل إيران في مواجهة مع أذربيجان وحلفائها.

نظريًا، ستعتمد الدراسة على المدرسة الواقعية، وتحديدًا نظرية توازُن التهديد، وذلك بافتراض أنَّ الدول تعمل على تحقيق توازُن ضد الدول الأكثر تهديدًا، وليس الأكثر قوَّة، وذلك قياسًا على أربعة عوامل أو مصادر تأخذهم الدول في الاعتبار عند مواجهة تهديد لأمنها ومصالحها، وهي: القوة الإجمالية للدولة، القُرب الجغرافي،

القُدرة الهجومية، النيَّات العُدوانية. أمَّا منهجيًا فستستفيد الدراسة من منهج دراسة الحالة، ذلك لأنَّها ستركِّز على انعكاس الشراكات الإستراتيجية لأذربيجان على الأمن القومي الإيراني، وعلى العَلاقات المعقَّدة، والحسابات الصعبة في منطقة جنوب القوقاز المضطربة، التي تتجدَّد فيها الصراعات والتحالفات بسبب تنافُس القوى الإقليمية والدولية فيها، ودخولها في حسابات ميزان القوى العالمي.

بناءً على ما سبق، ستنقسم الدراسة إلى أربعة محاور رئيسية: أولًا: العلاقات الإيرانية-الأذربيجانية، ثانيًا: الشراكة الإستراتيجية بين أذربيجان والقوى الكُبرى، ثالثًا: الشراكة الإستراتيجية بين أذربيجان والقوى الإقليمية، رابعًا: أثر الشراكات الإستراتيجية لأذربيجان في إيران.

أولًا: العلاقات الإيرانية الأذربيجانية

تتأثَّر العلاقات الأذربيجانية-الإيرانية بعامل تاريخي، لا يزال تأثيره قائمًا حتى الآن، إذ كان جنوب القوقاز في معظم الأوقات تحت سيطرة الإمبراطوريات الإيرانية المتعاقبة، لكن مع ظهور دولة موسكوفي خلال القرن الخامس عشر وسعيها إلى التوسُّع، كُتِب عهدٌ جديد للمنطقة، إذ عُدَّ غزوها مدينة أستراخان عام 1556م بداية تقدُّمها إلى بحر قزوين وتوسيع نفوذها في القوقاز، كما عُدَّ بداية التماس أو التقارب الجغرافي بين الدولة الروسية والدولة الإيرانية، بل بداية تقاسُم النفوذ في المنطقة بين الإمبراطوريتين، إذ صار الجزء الشمالي من بحر قزوين تابعًا لروسيا، والجانب الغربي والجنوبي للبحر تابعًا لإيران[1].

مع ظهور «بطرس الأكبر» وسياساته الرامية إلى توسيع حدود الإمبراطورية الروسية، خصوصًا نحو الجنوب والشرق، احتلَّ الروس مدن باكو ودربند ورشت، مستغلِّين حالة الفوضى في الدولة الصفوية عام 1722م، كما أبرمت روسيا اتفاقًا مع الشاه «طهماسب الثاني»، وبناءً عليه جرى التنازل عن أراض أخرى لروسيا، لكن بتجدُّد القوة الإيرانية، التي ارتبطت بحُكم «نادر شاه»، والتراجُع النسبي للقوّة الروسية، أُجبِرت روسيا على إخلاء معظم المناطق، التي احتلتها في الطرف الجنوبي لبحر قزوين. وكان توقيع معاهدة «رشت» عام 1732م، ومعاهدة «كنجه» عام 1735م، نتيجة هذا النصر، واستمرَّ هذا الوضع حتى نهاية القرن الثامن عشر[2]، إذ تسبَّب حاكم جورجيا في اندلاع الحروب الكُبرى بين روسيا وبلاد فارس (إيران حاليًا)، بوضع بلاده تحت وصاية روسيا، متخلِّيًا بذلك عن بلاد فارس، التي كان يعتمد عليها سابقًا. وكانت نتيجة هذه الحروب خسارة بلاد فارس، وأدَّت الحرب الأولى إلى معاهدة «جولستان» في عام 1813م، والحرب الثانية إلى معاهدة «تركمانشاي» في عام 1828م. وبموجب بنود هذه المعاهدات، جرى فصْل منطقة القوقاز عن إيران[3]، التي تضُمّ ما يُعرَف اليوم بداغستان وجورجيا وأذربيجان وأرمينيا.

وعلى أثر اندلاع الثورة البلشفية في روسيا عام1917م، أعلنت المناطق التي اقتُطِعت من إيران في جنوب القوقاز إنشاء دول جديدة، وهي أرمينيا وأذربيجان. ففي 28 مايو 1918م، أعلنت جمهورية أذربيجان الديمقراطية استقلالها، لكن سرعان ما جرى غزوها في 28 أبريل 1920م من الجيش الأحمر السوفييتي، وإثر هزيمتها أعلن البلاشفة في باكو تأسيس جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفييتية. ومن ثَمَّ أنشئت جمهورية عبر القوقاز الاتحادية الاشتراكية السوفييتية (TSFSR) في 10 ديسمبر 1922م، تتكوَّن من أذربيجان وجورجيا وأرمينيا. وفي 30 ديسمبر 1922م، تأسس الاتحاد السوفييتي. في ذلك الوقت وُجد 4 جمهوريات داخل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية: جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية وأوكرانيا وبيلاروسيا وجمهورية عبر القوقاز الاتحادية الاشتراكية السوفييتية. وهذه الأخيرة أُلغيت في 5 ديسمبر 1936م، وجرى ضمّ أذربيجان مباشرةً إلى الاتحاد السوفييتي، وظلَّ الأمر كذلك، حتى استقلالها في 1991م على أثر انهيار الاتحاد السوفييتي[4].

استقبلت الجمهورية الإسلامية الإيرانية، التي قامت على أثر ثورة ضد نظام الشاه في 1979م، خبرَ انهيار الاتحاد السوفييتي بصدمة تبِعها مزيج من الفرح والخوف، فمن ناحية تخلَّصت إيران من جارٍ سبَّب لها مشكلات على مدار 200 عام، كما أتاح لها ذلك إمكانية التواصل المباشر مع جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز، التي كانت جزءًا من العالم الإيراني، لكنّها أيضًا استشعرت الخوف من الفراغ، الذي ظهر في تلك الدول، وإمكانية استغلاله من الولايات المتحدة وحلفائها الإقليميين، وبالتحديد تركيا وإسرائيل.

سارعت إيران إلى التعرُّف على تلك الدول، ووضعت إستراتيجيات للتعامل مع الجوار، الذي يتشكَّل من جديد، خصوصًا في جنوب القوقاز بدوله الثلاث: جورجيا وأرمينيا وأذربيجان، ولا سيّما هذه الأخيرة، التي كانت إيران تنظُر إليها بريبة، مقارنةً بالدول الأخرى، وهذا نظرًا إلى بعض الحقائق الجغرافية والعِرقية والثقافية.

فجمهورية أذربيجان، مقاطعة أران الإيرانية السابقة، التي يسكنها «التتار القوقازيون» حسب الاسم الروسي حتى عام 1918م[5]، تقع في جنوب القوقاز، بجوار الساحل الغربي لبحر قزوين، وتبلغ مساحتها 86,600 كم[2]، أي 46% من إجمالي مساحة جنوب القوقاز، ولغة شعبها هي الأذربيجانية، والإسلام دين الأغلبية[6].

ثانيا: الشراكة الإستراتيجية بين أذربيجان والقوى الكبرى

تختلف الشراكات الإستراتيجية في طبيعتها، من حيث الدلالة والاستعمال، إذ يمكن أن تكون الشراكة الإستراتيجية مُراد التحالف الإستراتيجي، كما يمكن ألّا تتعدَّى كونها مجرَّد أداة في السياسة الخارجية، تتغيَّر بمجرَّد تغير الحسابات

السياسية والإستراتيجية للدول. وتأتي علاقة أذربيجان بالقوى الكُبرى في إطار تقديراتها الواقعية لمصالحها الوطنية، ومصادر التهديد التي لاحت في الأفق بعد الاستقلال عن الاتحاد السوفييتي، وحالة الفراغ الأمني في المنطقة، وتهديدات إيران تحديدًا، التي كانت تنظُر إلى أذربيجان على أنَّها جزء من أراضيها، وفي هذا الإطار يمكن توضيح حدود الشراكة الإستراتيجية بين أذربيجان والولايات المتحدة وروسيا، على النحو الآتي:

1. الشراكة الإستراتيجية مع الولايات المتحدة:

اعترفت الولايات المتحدة باستقلال أذربيجان في 25 ديسمبر 1991م. وفي مارس 1992م افتتحت سفارة لها في باكو، وبعد بضعة أشهر افتتحت أذربيجان سفارة في واشنطن العاصمة. في عهد إدارة بيل كلينتون، شهِدَت العلاقات بين الولايات المتحدة وأذربيجان تحسُّنًا كبيرًا، خصوصًا في المجال الاقتصادي. وخلال رئاسة جورج بوش الابن، انتقلت الدولتان إلى مستوى جديد من العلاقات الإستراتيجية، وذلك على ضوء الإستراتيجية الأمريكية العالمية، التي أعطت الشرق الأوسط وجنوب ووسط آسيا ومنطقة القوقاز أولوية.

من جانبها، حاولت أذربيجان خلْق شراكة إستراتيجية فعّالة مع الولايات المتحدة من أجل الحصول على الدعم في قضية الصراع حول «ناغورنو كاراباخ» مع أرمينيا، لذلك ركَّزت على إثبات أنَّها شريك موثوق في مجال الطاقة، من خلال تلبية توقُّعات الولايات المتحدة وأوروبا، عبر خط أنابيب باكو-تبليسي-جيهان، ضمن مشروع نابوكو (الممرّ الغربي)، ومشروع TAP (خط أنابيب عبر البحر الأدرياتيكي)، ومشروع TANAP (خط أنابيب عبر الأناضول)، لنقل الطاقة من شاهدنيز، كما قدَّمت أذربيجان الدعم الكامل للولايات المتحدة في أفغانستان والعراق، عبر فتْح مجالها الجوِّي، وإرسال بعض القوَّات.[7]

مع ذلك، لم تخلُ العلاقات من بعض التوتُّرات، إذ خلال فترة حُكم باراك أوباما تدهورت علاقة البلدين نتيجة بيانات إدارة أوباما، التي ركَّزت بشكل دوري على قضايا حقوق الإنسان في أذربيجان، الأمر الذي جعل الأخيرة تعلن عدم موافقتها على موقف الولايات المتحدة، وتعتبر ما تفعله تدخُّلًا في شؤون أذربيجان، ووسيلة للضغط عليها[8].

لكن بوجه عام، تُعتبَر أذربيجان مهمَّة بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية من منظور تأمين إمداداتها من الطاقة، وباعتبارها حلقة وصْل في طريق عبور الطاقة، الذي يربط جنوب القوقاز بآسيا الوسطى، دون العبور بأراضي روسيا وإيران.

لذلك، رحَّبت أذربيجان بالولايات المتحدة باعتبارها شريكًا في مشاريع الطاقة وجميع أشكال التعاون الاقتصادي، وشاركت أذربيجان أيضًا في تعاون عسكري واسع النطاق مع الولايات المتحدة، وحصلت على معدّات وخدمات وتدريبات دفاعية، لكنَّ

التحوُّل في السياسات خلال إدارة أوباما ترك لدى أذربيجان شعورًا بعدم الثقة بواشنطن، والاعتقاد بأنَّ الولايات المتحدة قد تتراجع في أيّ منعطف عن مواصلة التطوير النشط للعلاقات معها[9]. وقد ظهر ذلك، عندما سافرت رئيسة مجلس النوّاب الأمريكي نانسي بيلوسي إلى أرمينيا في 17 سبتمبر 2022م، ووصفت أرمينيا بأنَّها «دولة مسالمة ومزدهرة وديمقراطية»، في حين أدانت الهجمات الأذربيجانية على الأراضي الأرمينية باعتبارها «غير قانونية وقاتلة»[10].

2. الشراكة الإستراتيجية مع روسيا:

تُعَدُّ منطقة جنوب القوقاز، التي تقع في جنوب روسيا، إحدى البيئات الطَرَفية لروسيا، أو ما يُسمَّى في روسيا «الجوار القريب». وتلعب المنطقة دورًا مهمًّا في السياسة الأوراسية، التي تنتهجها روسيا. فبعد تفكُّك الاتحاد السوفييتي طبَّقت روسيا سياسة عدم التدخُّل في بيئتها الخارجية لمدَّة عقْد تقريبًا، لكن منذ أن وصل فلاديمير بوتين إلى السُّلطة تعززت القواعد الجيو-سياسية الروسية وجرى إحياؤها مرَّةً أخرى، وذلك ضمن إستراتيجية بوتين لاستعادة مكانة روسيا على الساحة العالمية، فالأهمِّية المتزايدة لبحر قزوين، وقضاياه الجغرافية الاقتصادية، والاستثمارات، والوجود المتزايد للقوى الغربية في الدول المستقلَّة المُشكَّلة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، التي تعتبِرها روسيا فضاءً حيويًّا لها، أقنع السلطات الروسية بإعادة النظر في وجودها وعلاقاتها مع دول هذه المنطقة، بما في ذلك أذربيجان، التي خشِيَت روسيا من نفوذ الولايات المتحدة المتزايد فيها[11].

من جهتها، عمِلَت أذربيجان على التحسين التدريجي للعلاقات مع جارتها الكبرى روسيا، فبعدما كانت العلاقات الثنائية بينهما سلبية في تسعينيات القرن العشرين، تحسَّنت علاقتهما نحو إقامة شراكة إستراتيجية في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. بالنسبة لأذربيجان أدَّت تجربة المرحلة النشِطة من صراع ناغورنو كاراباخ مع أرمينيا إلى ظهور عدد من الصور النمطية التي جعلت من الصعب تطوير علاقات ثنائية فعّالة. ومع ذلك، فإنَّ التغييرات الإيجابية في توجُّهات السياسة الخارجية الروسية منذ بداية الألفية الثالثة، إلى جانب العدد المتزايد من الزيارات المتبادلة رفيعة المستوى، قد شكَّلت حقبة جديدة في العلاقات الثنائية والتعاون الذي أدَّى إلى عديد من الاتفاقيات التي أسَّست ثمَّ أعادت تأكيد الصداقة والشراكة الإستراتيجية[12].

لقد ظهرت ثمار هذا التقارب عندما بدأت الحرب بين أذربيجان وأرمينيا من جديد حول مناطق في كاراباخ في 27 سبتمبر 2020م، واستمرَّت أربعة وأربعين يومًا، إذ توصَّل البلدان برعاية روسية إلى اتفاق لوقف إطلاق النار ينُصّ على استعادة باكو السيطرة على محافظاتٍ في الإقليم، وتنُصّ المادتان 8 و9 من هذا

الاتفاق على إعادة جميع الروابط الاقتصادية وروابط النقل في المنطقة، كما نَصَّ الاتفاق على ضمان جمهورية أرمينيا سلامة خطوط النقل بين جمهورية أذربيجان وجمهورية ناخيتشيفان (نخجوان) ذات الحُكم الذاتي، من أجل تنظيم حرِّية حركة المواطنين والمركبات والبضائع في كلا الاتّجاهين، وكذلك نَصَّ الاتفاق على مراقبة حرس الحدود التابع لجهاز الأمن الفيدرالي الروسي حركات النقل، وأنَّه «باتفاق الطرفين سيجري ضمان بناء اتصالات نقْل جديدة تربط جمهورية ناخيتشيفان المتمتِّعة بالحُكم الذاتي والمناطق الغربية من أذربيجان»[13].

كما وقَّع رئيس جمهورية أذربيجان إلهام علييف ورئيس الاتحاد الروسي فلاديمير بوتين في 22 فبراير 2022م، إعلانًا بشأن «التحالف بين جمهورية أذربيجان والاتحاد الروسي» في موسكو، تضمَّن عدَّة نقاط، منها تعزيز العلاقات الثنائية إلى مستوى نوعي جديد، واعتُبرت الاتفاقية المتعلِّقة بالنظام القانوني لبحر قزوين المؤرَّخة في 12 أكتوبر 2018م بمثابة قاعدة قانونية قابلة للتطبيق للحفاظ على وتعزيز الأمن والاستقرار في منطقة بحر البلقان، كما يمتنع الاتحاد الروسي وجمهورية أذربيجان عن القيام بأي أنشطة اقتصادية تسبِّب ضررًا مباشرًا أو غير مباشر لمصالح الطرف الآخر، مع تأكيد التعاون في عدَّة مجالات، منها الطاقة وممرّات النقل والتكنولوجيا[14].

وتعمل روسيا وأذربيجان على تطوير شراكات إستراتيجية تشمل مجالات عدَّة، منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وفي حين تحاول روسيا موازنة دورها مع دور إيران وتركيا في منطقة جنوب القوقاز، التي من ضمنها أذربيجان، تحاول الأخيرة عبر سياستها الخارجية تحقيق تكافؤًا في علاقاتها بين روسيا والغرب، الذي تتّهمه روسيا بمحاولة زعزعة جنوب القوقاز وتأجيج الصراع بين أذربيجان وأرمينيا، ومحاولة فصْل روسيا عن جوارها القريب.

ثالثًا: الشراكة الإستراتيجية بين أذربيجان والقوى الإقليمية:

لم تعمل أذربيجان على تحقيق توازُن في علاقاتها مع القوى الدولية لمواجهة التهديدات وتعزيز مصالحها فقط، بل وطَّدت علاقاتها بالقوى الإقليمية الفاعلة، وذلك لتحقيق توازُن في مواجهة الجارة القوية إيران، وتمكن ملاحظة هذه الشراكة مع القوى الإقليمية، على النحو التالي:

1. الشراكة الإستراتيجية مع تركيا:

تُعَدُّ تركيا الشريك الإستراتيجي الأول لأذربيجان، إذ ازدهرت العلاقات التركية-الأذربيجانية منذ استقلال أذربيجان عام 1991م، وكانت تركيا أول دولة اعترفت بها، وقد توثَّقت العلاقات منذ ذلك الوقت، ويرتبط البلدان حاليًّا بمشاريع تشمل المجالات

السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، في حين أنَّ العلاقات بين الشعبين مجسَّدة في القول المأثور «أُمَّة واحدة، دولتان»[15].

في الجانب العسكري، وقَّعت أذربيجان وتركيا عديدًا من اتفاقيات التدريب العسكري. وفي يونيو 1996م، وقَّع البلدان معاهدة التعاون في مجال التدريب العسكري والفني والعلمي في أنقرة. وأدَّى اتفاق يوليو 1999م إلى نشر قوّات حفظ السلام الأذربيجانية في كوسوفو، ضمن الكتيبة التركية، وكانت هذه أول مهمَّة أجنبية للقوّات المسلَّحة الأذربيجانية خارج الحدود.

لقد زوَّدت تركيا منذ فترة طويلة أذربيجان بالأسلحة والمساعدات العسكرية الأخرى[16]، كما أغلقت تركيا في 1993م حدودها مع أرمينيا تضامنًا مع أذربيجان. بالإضافة إلى المساعدة العسكرية، قدَّمت تركيا أيضًا الدعم السياسي لأذربيجان. ففي صيف عام 2001م، هاجمت الطائرات الحربية الإيرانية السفن الأذربيجانية، التي كانت تقوم بأعمال التنقيب في جنوب بحر قزوين. وادّعت إيران أنَّ الحقول تقع في مياهها الإقليمية، وانتهكت لاحقًا المجال الجوِّي لأذربيجان بشكل متكرِّر بمقاتلاتها النفاثة، فأرسلت تركيا عدَّة طائرات مقاتلة إلى باكو، التي شاركت في عرض رمزي بالعاصمة الأذربيجانية. وأظهرت هذه البادرة دعْم تركيا لأذربيجان، وأدَّت إلى تراجُع تصعيد التهديدات الإيرانية، كما لعِبَت تركيا دورًا فعّالًا لحل أزمة اللاجئين والنازحين داخليًّا في أذربيجان. وبدءًا من أوائل تسعينيات القرن العشرين قدَّمت تركيا مساعدات إنسانية إلى النازحين الآذريين، وأقامت معسكرات تركية في أذربيجان لتقديم مساعدات الإغاثة لضحايا الحرب. علاوةً على ذلك، قدَّمت الحكومة التركية آلاف المِنَح الدراسية إلى الطُّلّاب الأذربيجانيين للدراسة في الجامعات التركية[17].

خلال زيارة الرئيس التركي عبد الله غول إلى باكو في أغسطس عام 2010م، وقَّع الطرفان معاهدة جديدة بشأن الشراكة الإستراتيجية والدعم المتبادل، وصدَّقَ برلمان أذربيجان عليها في 21 ديسمبر من العام نفسه. وفي سبتمبر 2010م، وقَّعت تركيا وأذربيجان اتفاقًا آخر لإنشاء مجلس التعاون الإستراتيجي التركي-الأذربيجاني رفيع المستوى بهدف زيادة التعاون الثنائي. وبموجب الاتفاق، إذا هاجم طرف ثالث أيًّا من الجانبين، وجب على الدولتين تقديم المساعدة العسكرية إلى بعضهما، كما ورَدَ في الاتفاق أنَّ الأطراف مُلزَمة تعزيز «التعاون العسكري التقني وتوريد الأسلحة وإنشاء البنية التحتية لعمليات مشتركة مُحتمَلة في المستقبل»[18].

في السنوات الأخيرة، تنظم أذربيجان مناورات عسكرية مشتركة مع تركيا، إذ أجرت القوّات المسلَّحة التركية والأذربيجانية في 29 يوليو 2020م مناورات عسكرية شاملةً في أذربيجان تحت اسم «النسر التركي الأذربيجاني 2020م»، وذلك بعد أيام

من اندلاع اشتباكات حدودية بين أذربيجان وأرمينيا. وتعليقًا على هذه المناورات، قال المتحدِّث باسم الرئاسة التركية إبراهيم قالن: «ستكون لنا مناورات في أذربيجان، نظرًا إلى وجود اتفاقية عسكرية وأمنية مع الآذريين»، مؤكدًا أنَّ تركيا ستواصل الوقوف إلى جانب أذربيجان حتى النهاية، مهما كان مصدر التهديد ضدّها[19]. علاوةً على ذلك، أجرى البلدان تدريباتٍ عسكريةً مشتركةً باسم «الأخوة الصادمة 2021م» في مقاطعة ناخچيوان في الفترة بين 5 و8 أكتوبر 2021م، وكانت موجَّهة ضدّ إيران. كما وقَّع رجب طيب أردوغان وإلهام علييف في 15 يونيو 2021م إعلان شوشا بشأن علاقات الحلفاء، وأُعلِن عبره عن خارطة طريق في عدَّة قطاعات، مثل التكنولوجيا والصناعة والدفاع والطاقة والنقل والاقتصاد[20].

من الجوانب الأكثر وضوحًا أيضًا للشراكة الإستراتيجية التركية-الأذربيجانية، إلى جانب الروابط الثقافية واللغوية باعتبار تركيا الشقيق الأكبر للأذربيجانيين، نجد الطاقة وممرّات الطاقة، فعُزلة أذربيجان النسبية عن الأسواق العالمية، باعتبارها دولة حبيسة جغرافيا، يمنعها من تصدير مواردها الطبيعية، لهذا مع زيادة الإنتاج، احتاجت أذربيجان إلى إنشاء خطوط أنابيب جديدة للنفط والغاز، وهو ما دعمته أيضًا الدول الغربية. وكان خط أنابيب النفط باكو-تبليسي-جيهان، وخط أنابيب الغاز الطبيعي باكو-تبليسي-أرضروم، من المشاريع التي عزَّزت العلاقات بين تركيا وأذربيجان في مجال الطاقة[21].

من أهمّ أبعاد السياسة الخارجية التركية في القوقاز هي سياسة خطوط الأنابيب (تتريكها)، ونقْل الطاقة عبر تركيا إلى أماكن أخرى. وقد منَحَ الموقع الجيو-سياسي والجيو-إستراتيجي، وسهولة الوصول إلى المياه المفتوحة، وموقعها بين شرق وغرب العالم، تركيا، مكانةً متميِّزة[22]. لذلك تحاول ربْط الأراضي التركية بالأراضي الأذرية بممرّات الطاقة وسِكَك الحديد، ففي نهاية أكتوبر 2017م، افتُتِح رسميًّا خط سكك الحديد الرابط بين المُدُن الثلاث: باكو (في أذربيجان)، وتبليسي (في جورجيا)، وقارس (في تركيا)، ليربط بين الدول الثلاث، ويوجد طموح في نقْل مليون مسافر سنويًّا بين هذه البلدان، بالإضافة إلى نقْل بضائع تصل حمولتها إلى نحو 6,5 مليون طن سنويًّا[23].

بموازاة ذلك، تهتم تركيا أيضًا بتطوير العلاقات التجارية والاستثمارية في أذربيجان، إذ أكد رئيس الوزراء الأذربيجاني علي أسادوف أنَّ قرابة 5 آلاف شركة تركية تنشط في أذربيجان، وهو ما يدُلّ، بحسب أسادوف على أنَّ تركيا تتصدَّر الترتيب في عدد شركات الدول الأجنبية بأذربيجان، وأضاف أنَّ «الشركات التركية تشارك بقرابة 450 مشروعًا بقيمة 17 مليار دولار مُنفَّذة في أذربيجان بموازنة

الدولة، فيما تعمل في تركيا أكثر من 2600 شركة أذربيجانية». وأشار أسادوف إلى مشاركة الشركات التركية نظيراتها الأذربيجانية في عمليات إعادة إعمار المناطق المُحرَّرة من إقليم كاراباخ.[24]

الشراكة الإستراتيجية التركية-الأذربيجانية هي تحالف إستراتيجي يخدم مصالح البلدين، ويعزِّز حضورهما السياسي على المستوى الإقليمي والدولي.

2. الشراكة الإستراتيجية مع إسرائيل:

منذ إعلان استقلالها، وجدت أذربيجان في إسرائيل دولة داعمة لها، إذ كانت من أوائل الدول التي اعترفت بها، وكان ذلك في 25 ديسمبر 1991م. وأُقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين في 6 أبريل 1992م، عندما انخرطت أذربيجان في صراع دموي حول مصير منطقة ناغورنو كاراباخ. وفي أبريل 1993م، ردًّا على الاحتلال الأرمني للأراضي الأذرية، دعمت إسرائيل الجانب الأذري في هذا الصراع من خلال تزويد القوّات الأذربيجانية بصواريخ «ستينغر»[25].

كانت أذربيجان أيضًا هشَّة اقتصاديًّا وغير مستقرَّة سياسيًّا وضعيفة عسكريًّا، مقارنةً بجارتها الأرمنية، فوجدت تل أبيب فُرصة لتعرض مساعدة باكو في تطوير ترسانتها العسكرية. وبسبب الصدمة التي أحدثتها الهزيمة في كاراباخ عام 1994م، استثمرت أذربيجان بكثافة في أسلحتها، وبحثت عن شركاء إستراتيجيين، وبالنسبة لإسرائيل، فإنَّ إقامة مثل هذه العلاقة مع دولة إسلامية غير عربية تشكِّل هدفًا إستراتيجيًا لها، واستكمالاً لإستراتيجية تطويق خصومها الإقليميين[26].

في هذا الإطار، تبادل الطرفان الزيارات الرسمية رفيعة المستوى، واتّضح وجود اهتمام إسرائيلي أكبر بهذه العلاقة، في إطار سياساتها المناهضة لإيران. خلال زيارته إلى باكو في 2012م، وصف وزير الخارجية الإسرائيلي آنذاك أفيغدور ليبرمان علاقة بلاده بأذربيجان بأنَّها «أكثر أهمِّية لإسرائيل من (العلاقة القائمة آنذاك) مع فرنسا»[27].

وطوال السنوات الماضية، احترمت أذربيجان وإسرائيل الحساسيات الإقليمية، فبينما افتتحت إسرائيل سفارتها في باكو منذ عام 1993م، رفضت أذربيجان فتْح بعثة دبلوماسية في إسرائيل، وكانت السُّلطات الأذربيجانية تفسِّر دائمًا هذا الخلل الدبلوماسي بالإشارة إلى «القيود السياسية». وأشارت أذربيجان إلى «وضعها الجيو-سياسي المعقَّد، لا سيّما قُربها من إيران، فضلاً عن عضويتها في المنظَّمات الإسلامية الدولية، باعتباره سببًا يمنعها من فتح بعثة لها في إسرائيل». وعلى الرغم من ذلك، واصل البَلَدان تعاونهما، بما في ذلك الأمن والمشتريات العسكرية والطاقة والاتصالات والطب والتجارة والتعليم والثقافة[28]. وقد وصف الرئيس الأذربيجاني،

في مايو من عام 2008م، العلاقات بين باكو وتل أبيب بأنَّها «جبل جليد، 90% منه مُتوارٍ تحت الماء بعيدًا عن أعين الدخلاء»[29].

لكنَّ الأمور بدأت تتغيَّر مؤخَّرًا، إذ افتتحت أذربيجان رسميًّا سفارة لها في إسرائيل في 29 مارس 2023م، كما زار الرئيس الإسرائيلي إسحاق هرتسوغ أذربيجان في 30 مايو 2023م، بدعوة من الرئيس الأذري إلهام علييف، الذي قال إنَّ افتتاح سفارة أذربيجان في تل أبيب خلَقَ «مزيدًا من الفُرَص لتفاعُل أوثق». وتُعَدُّ زيارة هرتسوغ خطوة جديدة في التوسُّع المستمِرّ والعلني للغاية للعلاقات الثنائية مع أذربيجان[30].

في مجال التسلُّح، كانت أذربيجان ثاني أكبر وِجهة لإسرائيل لصادرات الأسلحة بين عامي 2018 و2022م. وقد لعِبَت هذه الأسلحة، خصوصًا الطائرات الدقيقة وأنظمة اعتراض الصواريخ، دورًا مهمًّا في نجاح أذربيجان في حرب كاراباخ الثانية.[31] وبلغ حجم التجارة بين إسرائيل وأذربيجان 200 مليون دولار في عام 2020م. وبين عامي 2016 و2020م، شكَّلت إسرائيل 69% من واردات أذربيجان الرئيسية من الأسلحة. كما نمت صادرات النفط الأذربيجانية إلى إسرائيل، وأصبحت تمثِّل أكثر من 40% من وارداتها[32].

تقوم الشراكة الإستراتيجية بين إسرائيل وأذربيجان على عدَّة ركائز، أبرزها حاجة أذربيجان إلى السلاح والتقنية العسكرية، وحاجة إسرائيل إلى الطاقة، ووجود مصالح مشتركة مع غياب مجالات للتنافس بينهما، إضافة إلى الروابط الثقافية، باحتضان أذربيجان آخر جالية يهودية متبقِّية في القوقاز، فضلًا عن عوامل أخرى تلعب دورًا مهمًّا في الشراكة الإستراتيجية بين أذربيجان وإسرائيل، وهي المخاوف المشتركة من إيران، والبحث عن موازنة العلاقات مع روسيا، والدور الذي يلعبه اللوبي الإسرائيلي في دعْم أذربيجان في الولايات المتحدة، خصوصًا في ظل القوة التي يتمتَّع به اللوبي الأرميني في واشنطن.

رابعًا: أثر الشراكات الإستراتيجية لأذربيجان في إيران

تؤثِّر الشركات الإستراتيجية الأذربيجانية الدولية والإقليمية في إيران، وذلك نظرًا إلى أبعادها الجيو-سياسية والجيو-اقتصادية، الأمر الذي يجعل إيران تلجأ إلى إستراتيجيات مختلفة في مواجهتها.. ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

1. الأثر في الأمن القومي والمصالح الوطنية:

أذربيجان ليست دولة عادية بالنسبة إلى إيران، هي جارتها الشمالية التي تتمتَّع بموقع إستراتيجي، وجيو-اقتصادي، وثروات طبيعية، وشعب غالبيته من الشيعة. ومنذ

استقلالها تثير أذربيجان قلق إيران، وما زاد شكوكها نحوها شراكاتها الإستراتيجية مع دول تعتبرها إيران منافسة أو عدوَّة لها.

وبالاعتماد على النظرية الواقعية، وبالتحديد على نظرية توازُن التهديد لستيفن والت، يمكن أن نلمح أنَّ إيران وأذربيجان كليهما يوازنان التهديد تجاه بعضهما. ووفقًا لوالت، فإن الدول تحاول خلْق توازُن ضدّ الدول الأكثر تهديدًا وليس الأكثر قوَّة، ويعتمد مستوى التهديد في أيّ بلد على العوامل الأربعة التالية: القوة الإجمالية للدولة، القُرب الجغرافي، القُدرة الهجومية، النيّات العدوانية.

وبالاعتماد على هذه العوامل، نستكشف تأثير الشراكات الإستراتيجية الأذربيجانية في الأمن القومي الإيراني ومصالحها الوطنية:

أ. القوة الإجمالية للدولة: كُلَّما كانت القوة الإجمالية للدولة أكبر زاد حجم خطورتها، وتشمل هذه القوّة متغيِّرات تتعلَّق بالإمكانيات المادِّية للدول. ويشير ميزان القوّة الإجمالية إلى تفوُّق إيران على أذربيجان، باعتبارها قوة إقليمية كُبرى، بمساحة شاسعة تبلغ 1,648,195 كم^2، وموقع جيو-سياسي متميِّز، وبعدد سُكّان يُقدَّر بنحو 85,03 مليون نسمة في عام 2021م[33]، وبقُدرات عسكرية كبيرة، من طائرات حربية وصواريخ ومسيَّرات وأسطول بحري قوي، إضافة إلى القُدرات الاقتصادية الكبيرة، باعتبارها دولة مُصدِّرة للنفط والغاز وكثيرًا من المواد المعدنية، على الرغم من الأثر السلبي للعقوبات الدولية والأمريكية المفروضة عليها. لكنَّ أذربيجان دولة صغيرة من حيث الحجم، بمساحة تقدر 86600 كم^2، ومن حيث السُكّان بنحو 10,2 مليون نسمة[34]، وقُدرات عسكرية متواضعة مقارنةً بإيران، وتحاول موازنة التهديدات التي تأتيها من جارتَيْها إيران وأرمينيا باللجوء إلى حلفاء عبر إقامة شراكات إستراتيجية، خصوصًا مع تركيا وإسرائيل.

ونظرًا إلى تزاحُم الإستراتيجيات المتنافسة على المنافع الاقتصادية والممرّات الإستراتيجية في القوقاز، ترى إيران في الشراكة الإستراتيجية الأذربيجانية والتركية خطرًا، من حيث آثارها في مصالحها الوطنية، خصوصًا في ما يخُصّ دعم تركيا «ممرّ زنغزور»، وهو طريق ترغب أذربيجان في إنشائه، مرورًا بشريط حدودي بين أرمينيا وإيران، تسيطر عليه يريفان، وترغب باكو في أن يصلها هذا الممرّ مع ناختشيفان (نَخجِوان)، وهي منطقة تابعة لأذربيجان بين أرمينيا وإيران، وتتمتَّع بالحُكم الذاتي، على أن يستمِرّ هذا الممرّ إلى داخل الأراضي التركي، ليكون في النهاية ممرًّا يُوصل بين أذربيجان وتركيا (بين الشرق والغرب) عبر جنوب أرمينيا. وتُعارض إيران بشِدَّة إنشاء هذا الممرّ، لأنَّه سيقلِّل اعتماد الدول الأخرى عليها في نقْل البضائع والأشخاص من ناختشيفان إلى البرّ الرئيسي لأذربيجان وبحر قزوين

وآسيا الوسطى. وبالإضافة إلى ذلك، تتخوَّف طهران من أن يؤدِّي الممرّ إلى قطْع وصول إيران البرِّي إلى الاتحاد الاقتصادي الأوراسي عبر أرمينيا، وبالتالي إلى أحد أهمّ شركائها الاقتصاديين، روسيا[35].

ب. القُرب الجغرافي: حسب ستيفن وولت، المسافة مهمَّة في تحديد التهديد، فكُلَّما كانت الدولة أقرب، كان التهديد أكبر. وتُعتبَر غالبية الشعب الأذربيجاني من الشيعة، وذات قومية أذرية، ولا يفصلها عن المكوِّن الأذري في شمال غرب إيران، الذين يشكِّلون 16% من سُكّانها، سوى نهر أرس، ومع تطلُّعاتهم القومية وإمكانية تأثرهم بنمط العيش في أذربيجان، تخشى إيران أن يشكِّل ذلك تحدّيًا لأمنها القومي، خصوصًا أنَّهم تمكَّنوا في عهد الشاه من بناء سُلطة للحُكم الذاتي في إقليم أذربيجان لمدَّة عام من 1945 إلى 1946م بدعم من الاتحاد السوفييتي، الذي كان يحتلّ شمال إيران في ذلك الوقت.

هذا بالإضافة إلى اختلاف طبيعة نظام الحُكم في البلدين، فأذربيجان دولة علمانية، الحُكم فيها جمهوري رئاسي ديمقراطي، في حين إيران على النقيض، نظام الحُكم فيها معقَّد، مزيج من الثيوقراطية الإسلامية مع الديمقراطية، ما قد يؤثِّر في الشعب الإيراني، الذي تميل قطاعات منه إلى نزْع الشرعية عن هذا النظام الديني.

في حين أنَّ إيران لا ترى تهديدًا من شراكة إستراتيجية بين روسيا وأذربيجان، وذلك لأنَّ إيران وروسيا تحوَّلتا من منافستين إلى حليفتين، بحُكم الحقائق الجيو-سياسية الجديدة، كما أنَّهما حليفتان لأرمينيا، على الرغم من محاولتهما الحياد بخصوص الصراع القائم بين أذربيجان وأرمينيا. نجِد أنَّ إيران ترفض الوجود الأجنبي، خصوصًا الأمريكي وحلف الناتو بالقرب من حدودها، وتُعتبَر أيّ شراكة إستراتيجية بين أذربيجان والولايات المتحدة خطرًا على أمنها القومي ومصالحها في أذربيجان والقوقاز بصفة عامَّة، إذ تحاول الولايات المتحدة عزْل وإقصاء إيران عن أذربيجان والقوقاز، عبر سياسة «كل شيء دون إيران»، خصوصًا في مجال الطاقة والممرّات الإستراتيجية والتدريبات والمناورات العسكرية.

إيران أيضا قلقة من وجُود إسرائيل قُرب حدودها، من خلال الشراكة الإستراتيجية مع أذربيجان. فعَلى الرغم من غياب حدود بين إيران وإسرائيل، فإنَّ الأخيرة تحاول خلقها من خلال الوجود الاستخباراتي في الأراضي الأذربيجانية، ما جعل إيران تتّهم حكومة أذربيجان بالسماح لإسرائيل بالتجسُّس عليها، وتنفيذ عمليات تخريبية واغتيالات داخل إيران، انطلاقا أو عبر المرور بأراضي أذربيجان. وتعتقد إيران أنَّ إسرائيل تروِّج خطورة إيران في جنوب القوقاز، سرًّا وعلانية، فالرئيس الإسرائيلي إسحق هرتسوغ خلال لقائه مع نظيره الأذربيجاني إلهام علييف في باكو، مايو 2023م، قال إنَّهما تحدَّثا بعُمق حول «البِنية الأمنية العالمية والإقليمية بأكملها المُعرَّضة للخطر والمهدَّدة من إيران»[36].

وترى إيران في إسرائيل، التي هي حليفة الولايات المتحدة الأمريكية، وتركيا، حليفتهما العضو في حلف الناتو، الأذرع الإقليمية لتوسُّع حلف شمال الأطلسي إلى الشرق، ويمكنهما تنفيذ خطَطه وبرامجه. وتخشى إيران أن تهاجمها إسرائيل أو الولايات المتحدة الأمريكية انطلاقًا من الأراضي الأذربيجانية، وذلك على الرغم من نفي عدد من المسؤولين الأذربيجانيين هذا الادّعاء.

ج. **القُدرة الهجومية:** يعتقد والت أنَّ الدول التي تتمتَّع بقدرات عسكرية هجومية أكثر خطورة من الدول التي تتمتَّع بقُدرات عسكرية دفاعية. وعلى الرغم من أنَّ القُدرات الهجومية الإيرانية أكبر بكثير من قُدرات أذربيجان، فإنَّ أذربيجان في السنوات الأخيرة حاولت تدارُك الخلل، وعلى الرغم من أنَّ أذربيجان تعلن أنَّ هدفها إقامة توازُن دفاعي مع أرمينيا بشأن صراعهما حول ناغورنو كاراباخ، فإنَّ إيران ترى أنَّها مُستهدَفة أيضًا من القُدرات العسكرية الأذربيجانية، ومن شركائها الإستراتيجيين، خصوصًا إسرائيل وتركيا، وإسرائيل تحديدًا، التي تتّهِمها إيران باستخدام علاقاتها بأذربيجان لشن عمليات التجسُّس والاغتيالات وتخريب برنامج إيران النووي.

د. **النيَّات العدوانية** بإثارة الحركات الانفصالية في إيران، يرجع الأمر بالأساس إلى رغبة عدد من المسؤولين الأذربيجانيين في ضمّ مناطق إيرانية إلى بلادهم، بحُكم كونهم من نفس العِرق. وقد أثار الرئيس الأذربيجاني إلهام علييف غضب الإيرانيين عندما تحدَّث في نوفمبر 2022م عن تلك المنطقة الواقعة بشمال إيران، التي تضم أغلبية أذرية، ووصفهم علييف بأنَّهم «جزء من أُمّتنا»، على الرغم من أنَّه في السابق كانت باكو حريصة على الامتناع عن الإدلاء بتصريحات يمكن أن تفسِّرها طهران على أنَّها داعمة لحركة انفصالية مُحتمَلة. ومع ذلك، ومنذ بدء الاحتجاجات الضخمة المناهضة للحكومة في إيران في سبتمبر 2022م، زادت باكو حدَّة خطابها من خلال الإشارة إلى شمال إيران باسم «أذربيجان الجنوبية»[37]. في الواقع، هذه تسميات زائفة، فدولة أذربيجان نفسها كان يطلق عليَّها عدَّة تسميات منها أران قبل 1918م، ولم تكن موجودة قبل هذا التاريخ، أمّا تسمية أذربيجان، فكانت تُطلَق فقط على الأراضي الواقعة حاليًا في شمال غرب إيران.

2. حدود الاستجابة والإستراتيجية الإيرانية للتهديدات:

تسعى إيران إلى الحفاظ على ميزان القوى الإقليمي في جنوب القوقاز، والحفاظ على الوضع الراهن، فمن مصلحتها إبقاء أذربيجان ضعيفة، لكن الوقائع الجيو-سياسة تُشير إلى التغيير، خصوصًا في ظل تركيز روسيا على أوكرانيا، ورغبة الغرب في تعويض إمدادات الطاقة الروسية بالأذربيجانية.

في هذا الصدد، تتمحور إستراتيجية إيران في مواجهة باكو وحلفائها حول عدد من العناصر، أبرزها ما يأتي:

أ. الاحتواء السياسي والدبلوماسي: فخلال أزمة الهجوم على السفارة الأذربيجانية في طهران في 27 يناير 2023م، وأزمة الشاحنات، واتّهام أذربيجان إيران بتجنيد أفراد للتجسُّس عليها، وتجنيد آخرين لتعطيل النظام الدستوري في أذربيجان، ومحاولة إرساء الشريعة الإسلامية، ومحاولة اغتيال شخصيات عامَّة أذربيجانية، وتحذير رعاياها من السفر إلى إيران، كان الردّ الإيراني عبر القنوات الدبلوماسية، ومحاولة تجاوُز التوتُّرات. وزار وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان أذربيجان للتصالح والتقليل من شأن التوتُّرات، والبحث عن سُبُل التعاون.

ب. التهديد وإبراز القوّة: أعلنت إيران مِرارًا وتَكرارًا رفضها تغيير الحدود الجغرافية القائمة، وهو ما كشف عنه بشكل واضح تصريح قائد القوات البرِّية الإيرانية كيومرث حيدري في عام 2021م، إذ صرَّح بأنَّ «إيران حسّاسة تجاه تغير الحدود الرسمية لدول هذه المنطقة، وترى ذلك غير مقبول، وتجب حماية الحدود القانونية»، مشيرًا إلى أنَّ «ضعْف دولة في حماية حدودها لا يبرِّر تغيير دولة أخرى حدودها بدعم من الأجانب، وأنَّ إيران لن تسمح بمثل هذا الشيء»[38]. كما أجرت إيران مناورات عسكرية للمرّة الثالثة في 2022م، قُرب حدود أذربيجان، تزامنًا مع التصعيد، في رسالة بعدم استبعاد القوّة باعتبارها خِيارًا في التعامل مع التهديدات القادمة من الجبهة الشمالية مع أذربيجان.

ج. الاحتواء الاقتصادي: في العلاقات بين إيران وجمهورية أذربيجان كانت الجوانب الاقتصادية دائمًا ذات أهمِّية خاصّة.. إذ جرى إبرام عديد من الاتفاقيات والمذكرات بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية وجمهورية أذربيجان لتسهيل التجارة، بما في ذلك الاتفاقية التجارية، واتفاقية تشجيع ودعْم الاستثمار المتبادل، واتفاقية تجنُّب الازدواج الضريبي، واتفاقية التجارة البحرية والاتفاقية الجمركية، واتفاقية النقل البرِّي، واتفاقية النقل الجوِّي. كما أنَّ مسألة تقاسُم الحقوق المتعلِّقة ببحر قزوين عولجت مع الدول الأخرى المُطِلَّة عليه، عبر الاتفاقية المُبرَمة في 2018م[39].

لقد حافظت باكو وطهران على علاقات تجارية قوية، على الرغم من التوتُّرات السياسية، وشهِدَت التجارة الثنائية نموًّا من 608 ملايين دولار أمريكي إلى 688 مليون دولار أمريكي في الفترة من مارس 2022 إلى مارس 2023م، وشكَّل الترانزيت محرِّكًا خاصًّا لتحسين العلاقات. وخلال رحلة إلى إيران في يوليو، أشار نائب رئيس الوزراء الأذربيجاني شاهين مصطفاييف، إلى أنَّ النقل الدولي بين باكو وطهران نما بنسبة 58%، مسلِّطًا الضوء على أنَّ آلاف الشركات الإيرانية تنشط في أذربيجان، كما

جرى التوقيع على اتفاقية لاستكمال بناء جسر عبر نهر أستاراتشاي، الذي يفصل بين البلدين. وتوقّف المشروع في عام 2021 م وسط تصاعُد التوتُّرات بين الجارتين، كما وُجد مشروع متعدِّد الجنسيات لربط الهند بأوروبا وآسيا الوسطى عبر إيران وروسيا، ويمكن أن تمُرّ الطُرُق البرِّية عبر الأراضي الأذربيجانية. وعلى هذه الخلفية، وقّعت باكو عام 2022 اتفاقية مع موسكو وطهران لتطوير المبادرة[40]. كما تطرح إيران مشروع «ممرّ آراس»، الذي يربط أذربيجان بجيب ناختشيفان عبر الأراضي الإيرانية، عِوضًا عن ممرّ زنغزور، وتمثِّل هذه الإستراتيجية حوافز من أجل خفْض التوتُّرات مِن باب التعاون الاقتصادي.

خلاصة

تؤثِّر الشراكات الإستراتيجية الأذربيجانية سلبًا في المصالح الوطنية الإيرانية وأمنها القومي، وذلك سواء بطُرُق مباشرة أو غير مباشرة، إذ ترى إيران أنَّ تركيا وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية حلفاء يمكن أن يتناوبوا في تنفيذ مشروع تطويقها، وإعاقة مشاريعها الإقليمية، وتهديد مصالحها وأمنها القومي عبر أذربيجان، فإسرائيل، الشريك الإستراتيجي الإقليمي لأذربيجان، وعلى الرغم من نفي الأخيرة، تحضر بقوة أكثر من أيّ وقت مضى على القُرب من الحدود الشمالية لإيران، ردًّا منها على الحضور الإيراني بالقُرب من حدودها في لبنان عبر حليفها «حزب اللّه». كما أنَّ تركيا وأذربيجان مُصِرَّتان على الانطلاق في إنشاء «ممرّ زنغزور»، لا سيّما في ظل الواقع الجيو-سياسي الجديد، وهو استعادة أذربيجان أراضيها في إقليم ناغورنو كارابخ، الذي بقِيَ تحت احتلال أرمينيا لمدَّة ثلاثين سنة، بدعم من إسرائيل وتركيا، وهو ما يعني خسائر جيو-سياسية وجيو-إستراتيجية كبيرة لإيران، كما سبق ورأينا من خلال الدراسة، وهي مُجبَرة حاليًا على تطوير سُبُل أكثر فعالية لاسترجاع مكانتها في جنوب القوقاز وأذربيجان. وأخيرًا، يمكن القول إنَّ المعطيات الحالية في جنوب القوقاز تؤكد أنَّ الحدود دائمًا يضعها الأقوى والمنتصر. يبقى أنَّ التاريخ يؤكد أيضًا أنَّ القوقاز لا يمكن أن تبقى حدوده مستقرَّة، ما دامت قوّة الدول المتنافسة فيه وساحة العلاقات الدولية محكومًا عليها بالتغيُّر المستمِرّ.

مصادر ومراجع

(1) Л. М. Кулагина, РОССИЯ И ИРАН (XIX - начало XX века). Москва : ИД «Ключ-С», РОССИЙСКАЯ АКАДЕМИЯ НАУК ИНСТИТУТ ВОСТОКОВЕДЕНИЯ, 2010. С. 9.

(2) مجتبي دمير چي لو، نگاه ايرانى به سير تحولات رژيم حقوقى درياى خزر، دو فصلنامه مطالعات اوراسياي مركزي، مركز مطالعات عالي بين المللي، دانشكده حقوق وعلوم سياسي، سال اول، شماره ١، زمستان و بهار ١٣٨٦-١٣٨٧، صفحات ٤٦-٢١، ص٢٥.

(3) JAHANGIR Karami, Iran and Russia :past experiences and future prospects ,Journal of Iran and Central Eurasia Studies, 1)2), Summer 2019, p21-1,p9,10.

(4) DILGAM Ismailov, History Of AZERBAIJAN. BAKU: AzMİU NPM, 2017, p 336-277.

(5) HOUCADE Bernard, Géopolitique de l'IRAN, Collection Perspectives géopolitiques, Armand Colin, Paris, 2010, p181.

(6) هادى ابراهيمى كياپى، كمال زار عى، تقابل راهبردهاى جمهورى اسلامى ايران و رژيم صهيونيستى در منطقه استراتژيک قفقاز ، فصلنامه پژوهش هاى راهبردى سياست، دوره نهم، شماره ٣٢ ، بهار ١٣٩٩(شماره پياپى ٦٢)، ص ١٢٩.

(7)-YILDIRIM Zafer ,U.S. Foreign Policy towards Azerbaijan: From "Alliance" to "Strategic Partnership", Alternatives Turkish Journal Of International Relations,yalova university Vol. 11, N° 4, Winter 2012, p10.

(8) ROVSHAN Ibrahimov, U.S. – AZERBAIJAN relations: a view from BAKU, The Rethink Institute, RETHINK PAPER 17, October 2014, p1.

(9) MAKILI-ALIYEV Kamal, Azerbaijan's Foreign Policy: Between East and West …, IAI WORKING PAPERS ,N1305°, resented at the seminar on "Azerbaijan's Foreign Policy Priorities: Regional and European Dimension", January 2013,p 8.

(10) LELEYKIAN Laurent, vers une clarification des alliances au SUD-CAUCASE, Centre Français de Recherche sur le Renseignement, Note d'actualité N600°, Novembre 2022, p5.

(11) KOOLAEE Elaheh, HADIPOOR Meysam, Analysis of Russian Foreign Policy in the South Caucasus based on Gene-geopolitics, Journal of Central Eurasia Studies, Faculty of Law and Political Science, Vol. 13, No.2, Autumn & Winter 21-2020, pp. 664-645,p 645,646.

(12) MAKILI-ALIYEV Kamal, Op. Cit, p 4,5.

(13) LELEYKIAN Laurent, Op. Cit, p2.

(14) Déclaration sur «l'interaction d'alliance entre la République d'Azerbaïdjan et la Fédération de Russie» à Moscou, AZERTAC, 23février 2022, https://2u.pw/qvFP3TP

(15) MAKILI-ALIYEV Kamal, Op. Cit, p4.

(16) WEITZ Richard, Azerbaijan's Regional Allies, Second Line Defense, 28 October 2012, https://2u.pw/FjVfSJL

(17) ISMAILZADE Fariz, TURKEY-AZERBAIJAN: The honeymoon is over (pdf), Winter 2005, https://2u.pw/oTwMDTT.

(18) SHAMKHAL Abilov, The Discourse "One Nation Two State": The Position of Turkey in the Nagorno-Karabakh Conlict, Journal of Caspian Affairs, Vol 1, N2°, Summer, 2015, pp.58-29, p50.

(19) -عبداللطيف حجازي، مصالح متشابكة :أهداف ودلالات المناورات العسكرية بين تركيا وأذربيجان، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدّمة،24 أغسطس 2020م، https://2u.pw/getgBN2

(20) CAN Baybars, ALIYEV lham: «L'amitié entre l'Azerbaïdjan et la Turquie s'est transformée en une relation entre alliés», 14 Mai 2022 , https://2u.pw/ZonTijD

(21) RAD GOUDARZI Masoumeh, BAEI LASHAKI Abdollah & FASIHI MOGHADDAM LAKANI Samereh, Turkish foreign policy in south caucasus and its impact in Iran-Azerbaijan relationship, Journal of Politics and Law, Canadian Center of Science and Education, Vol 8, N2015 ,1°, p125.

(22) حشمت الله فلاحت پيشه، وحيد شربتى، محمد مهدي مظفري، سياست خارجى تركيه در قفقاز جنوبى و منافع ايران وروسيه، فصلنامه پژوهش هاى راهبردى سياست، سال سوم، شماره ١٢ ، بهار١٣٩٤، ص ٤٩.

(23) خالد بشير، ٤ ركائز يقوم عليها التحالف التركي-الأذربيجاني.. تعرف عليها، ميديا حفريات، ٢٦ أكتوبر 2020م، https://2u.pw/3N72rQO

(24) أذربيجان: شركات تركية تشاركنا تنفيذ مشاريع بـ17 مليار دولار، وكالة الأناضول، 04 نوفمبر 2022م، https://2u.pw/HTbjd

(25) MURINSON Alexander, The Ties Between Israel and Azerbaijan, The Begin-Sadat Center For Strategic Studies, Mideast Security and Policy Studies BAR-ILAN University, N110°, p10.

(26) LACHENAIT Victor, ISRAËL et AZERBAÏDJAN : petite histoire d'une relation singulière, Le Grand Continent, 29 octobre 2020, https://2u.pw/jZxo8ms

(27) Igor Delanoë, ISRAËL-AZERBAÏDJAN: Une alliance en quête de renouvellement, FMES, Le 21 juillet

2021, https://2u.pw/wapqc9u
(28) MURINSON Alexander, Op. Cit, p14.
(29) RTتوافُق مصالح إسرائيل وتركيا وأذربيجان في جنوب القوقاز، موقع 04 أبريل 2016م ، https://2u.pw/ZJnAB9J.
(30) LAZAR Berman, In Baku, Azerbaijan's president thanks Herzog for Israeli arms supply, The Times of Israel, May 30 ,2023,https://2u.pw/ZQK3JPr
(31) كيف تحوَّل العلاقات الأذربيجانية-الإسرائيلية الجغرافيا السياسية للشرق الأوسط؟، الخليج الجديد، الأحد 28 مايو 2023م، https://2u.pw/vJPHZB8
(32) ستراتفور: هل تتحوَّل توتُّرات إيران وأذربيجان الحالية إلى حرب؟ وما السيناريوهات المتوقَّعة؟، الخليج الجديد، 05 فبراير 2023م، https://2u.pw/v1QpvmZ
(33) إيران، صفحة البلد، 4 فيفري 2023م، https://2u.pw/Pk6xZ59
(34) خريطة توضِّح حدود أذربيجان البالغ عدد سُكّانها 10.2 مليون نسمة، 21 سبتمبر 2023م، إندبندنت عربية، https://2u.pw/mR0X3xz
(35) ما السيناريوهات المتوقَّعة بشأن توتُّرات إيران وأذربيجان الحالية؟ **ميدل إيست نيوز**، 06 فبراير 2023م، https://2u.pw/Re1lJ7e
(36) LAZAR Berman, Op.Cit.
(37) ستراتفور: هل تتحوَّل توتُّرات إيران وأذربيجان الحالية إلى حرب؟ وما السيناريوهات المتوقَّعة؟، نفس المرجع.
(38) باسل الحاج جاسم، لماذا تصاعد التوُّتر بين أذربيجان وإيران؟، موقع الجزيرة، 17 أكتوبر 2021م، https://2u.pw/MU9lGem
(39) اطهری سید اسدالله ؛ رحمانی فاطمه ، بررسی روابط ایران و آذربایجان؛ چالشها و فرصتها، فصلنامه مطالعات منافع ملی، سال هفتم، شماره سی، زمستان ۱۴۰۱، ص ٦٠.
(40) فؤاد شهبازوف، أذربيجان وإيران تواصلان التقارب على الرغم من اشتعال أزمة ناغورنو كاراباخ، أمواج ميديا،20 سبتمبر 2023م، https://2u.pw/JHedWB2

التحكيم:
تتوفَّر في الدراسة كل الشروط المنهجية، من إطار نظري ومفاهيمي وتطبيقي، كما أنَّ الباحث أوضح بشكل دقيق العلاقة الارتباطية بين المتغيِّرين. يوجد بعض الملاحظات البسيطة، جرت الإشارة إليها في المتن.